

من تحرير الأرض الى تحرير الشعب

بقلم: د. فتحيه نصر

وحده يتم تحرير الشعوب، وهذا يفترض ان النظام الاسرائيلي نظام ديمقراطي.

● ان زيادة العدد بدون سلطة وطنية لا يؤدي الى تحرير الشعب الفلسطيني ففي التاريخ امثلة على قهر الاغلبية من قبل الاقلية الحاكمة. وليس بعيد عن الساحة الدولية ما يجري في الدولة العنصرية بجنوب افريقيا حيث ان الحكم هناك للاقلية وضد اصحاب الارض الشرعيين.

● ان اخطر ما ورد في مقال د. سري نسيبه هو الفصل بين تحرير الارض وتحرير الشعب واطهر ابعاد هذا الفصل العودة الى المقولة الخاطئة بان القضية الفلسطينية قضية لاجئين ليس الا وهذا يلغي حقه تاريخيه طويلة من النضال الفلسطيني ولا يختلف في نظري عن المفاهيم المختلفة التي تطرح في المناقشات الاسرائيلية والدولية عن اساليب تدوير القضية الفلسطينية

● في النهاية اود ان اسال الدكتور الزميل سري نسيبه ما هو وجه الاختلاف بين ما ينادي به بعض الاسرائيليين من فكرة الضم وما يطرحه في مقاله، وكيف يختلف بالتحصل عن المشاريع الامريكية بالنسبة لقضية حق الفلسطينيين بتقرير المصير، وكيف يحصر الشعب الفلسطيني مصيره ضمن نظام اسرائيلي استيطاني

فان الحركة الصهيونية تكون بهذا المفهوم قد حررت الارض الفلسطينية بتخليصها من العرب وعندها تكون مقولة اسرائيل في وصف الاراضي المحتلة بانها «الاراضي المحررة» مقولة صحيحة.

ان اصطلاح «الغير» في مقال د. نسيبه اصطلاح تجريدي ليس له متعلق تاريخي حقيقي. فالفلسطينيون عندما يطالبون بتحرير الارض يعني تخليصها من سلطة الاحتلال او من اي سلطة فرضت وجودها على الارض الفلسطينية بالقوة «فالغير» بلغة الفلسطينيين هم المغتصبون للارض وهم الانظمة التي فرضت على فلسطين بالقوة. فنظام الانتداب البريطاني على فلسطين هو الغير واسرائيل على ارض فلسطين هي الغير. والاتراك من قبل هذه الانظمة جميعا هم الغير.

وقد عرفنا من التاريخ ان هذا الغير ينتهي، فقد انتهى حكم الاتراك والانتداب البريطاني وستنتهي الانظمة الحالية على الارض الفلسطينية كما انتهت سابقتها من الانظمة.

ان تحرير الشعب لا ينفصل عن تحرير الارض والا لكان الشعب الامريكي من الهنود الحمر الاصليين شعبا حرا على ارضه في امريكا ضمن نظام الاستيطان الامريكي على مدى ما يزيد عن مئتي سنة خصوصا وان القانون الامريكي يعطي حقوقا سياسية ومساواة للهنود الحمر، ومع هذا فان التطبيق العملي يرينا ان الهنود الحمر قد ذابوا في النظام الاستيطاني الامريكي.

ولو صح قول د. سري نسيبه لكان اخوتنا الفلسطينيون داخل الخط الاخضر ممن وقع عليهم الاحتلال الاسرائيلي سنة ١٩٤٨ مواطنين متساوي الحقوق مع الاسرائيليين هذا ويطالعا كتاب جريس صبري (العرب في مخيم اسرائيل) لبيّن لنا ان العرب اخوتنا الفلسطينيين يعاملون كمواطنين من الدرجة الثالثة.

● ان مقولة د. نسيبه بان زيادة العدد عن طريق العودة واننا سنكون الاكثرية وبذلك نتحرر تفترض ان الهجرة اليهودية ستوقف وتفترض ان بالعدد

من حق د. سري نسيبه ان يحلم ومن حق القارئ ان يراجع هذا الحلم ويبين دوافعه فالدكتور سري نسيبه يطرح سيناريو حلم صاغته له مشاعره وتجاريه الذاتية ومنطقة الخطي بشكل يبدو للقارئ بان هذا الحلم قد يشكل كابوسا لاسرائيل ويحقق حلمه في حل القضية الفلسطينية.

ملخص حلم د. سري نسيبه في تحديد الفرق بين تحرير الارض وتحرير الشعب ظهر بجريدة القدس في ١٩٨٦/٧/٢٠ بقوله: «تحرير الارض يعني تخليصها من الغير وتحرير الشعب يعني تمكن الشعب من الحصول على كافة حقوقه تماما كالغير. تحرير الارض يعني انتزاعها من سكانها او انتزاع ما فيها منها وتحرير الشعب يعني ان يتمتع الشعب بكافة حقوقه السياسية واهمها حق تقرير المصير»

ويتبين ان د. سري نسيبه لم يكن محقا حين كان يفكر بتحرير الارض وينظر الى الية تحرير الشعب بقوله «نبدا بالمطالبة، ويبدأ النضال الفلسطينيون الموجودون اليوم في فلسطين والذين يشكلون تقريبا نصف عدد السكان الفلسطينيين قاطبة، ونصفهم يتمتع ببعض الحقوق السياسية في عكا والناصرة، فنطالب باستكمال الصورة وان يعود بقية الفلسطينيين ولن يتمتع كافتهم بحقوق سياسية كاملة في العام ٢٠٠٠ يرتفع عددا الى اكثر من ثلاثة ملايين نسمة. في العام ٢٠٢٠ تصبح الاكثرية».

ويتابع د. سري نسيبه حلمه فيقول: «تتحول اسرائيل عبر نضالنا المستمر من دولة صهيونية الى دولة ثنائية القومية، الى دولة عربية ديمقراطية وليستمر الامر خمسين عاما فنحن هنا ونحن باقون».

الخلل في منطق د. سري نسيبه

● تحرير الارض لا يعني بالضرورة تخليصها من «الغير» اي غير يقصد د. نسيبه؟ لو كان مفهوم التحرير تخليص الارض من الغير